

تفسير البحر المحيط

@ 258 .

الحرقوص : دويبة تولع بالنساء الأبقار ، وقيل : هو من الترصيص ، وهو انصمام الأسنان . .
 { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ * وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْعَكِيمُ * وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ
 تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
 تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا
 كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرصُوفٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ
 تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * أَنزَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَا تَزَاغُوا
 أَزَاغَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * وَإِذْ
 قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
 مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ بِيَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ
 بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَا تَمَسُّوا أَعْنَاقَكُمْ وَارْتَمُوا بِهَا حَتَّى يُصَافِكُمْ
 أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * }

هذه السورة مدنية في قول الجمهور ، ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة . وقال ابن
 يسار : مكية ، وروى ذلك أيضا عن ابن عباس ومجاهد . وسبب نزولها قول المنافقين
 للمؤمنين : نحن منكم ومعكم ، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك ؛ أو قول شباب من المسلمين :
 فعلنا في الغزو كذا ولم يفعلوا ؛ أو قول ناس : وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى ربنا حتى
 نعلم فيه ، ففرض الجهاد ؛ وأعلم تعالى بحب المجاهدين ، فكرهه قوم وفر بعضهم يوم أحد ،
 فنزلت ، أقوال . الأول : لابن زيد ، والثاني : لقتادة ، والثالث : لابن عباس وأبي صالح .

ومناسبتها لآخر السورة قبلها ، أن في آخر تلك : { رَّحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لََّا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } ، فاقضى ذلك إثبات
 العداوة بينهم ، فحضر تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم . والنداء ب
 { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، إن كان للمؤمنين حقيقة ، فالاستفهام يراد به
 التلطف في العتب ، وإن كان للمنافقين ، فالمعنى { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا }
 : أي بألسنتهم ، والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ وتهكم بهم في إسناد الإيمان إليهم
 ، ولم يتعلق بالفعل وحده . ووقف عليه بالهاء أو بسكون الميم ، ومن سكن في الوقف
 لإجرائه مجرى الوقف ، والظاهر انتصاب { مَقْتًا } على التمييز ، وفاعل { كَبُرَ } : أن

{ تَقُولُوا ° } ، وهو من التمييز المنقول من الفاعل ، والتقدير : كبر مقت قولكم ما لا تفعلون . ويجوز أن يكون من باب نعم وبئس ، فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالتمييز ، وأن تقولوا هو المخصوص بالذم ، أي بئس مقتاً قولكم كذا ، والخلاف الجاري في المرفوع في : بئس رجلاً زيد ، جار في { أَنْ تَقُولُوا ° } هنا ، ويجوز أن يكون في كبر ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله : { لِمَ تَقُولُونَ } ، أي كبر هو ، أي القول مقتاً ، ومثله كبرت كلمة ، أي ما أكبرها كلمة ، وأن تقولوا بدل من المضمرة ، أو خبر ابتداء مضمرة . وقيل : هو من أبنية التعجب ، أي ما أكبره مقتاً . وقال الزمخشري : قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله : .

غلت ناب كليب بواؤها .

ومعنى التعجب : تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظرائه وأشكاله ، وأسند إلى { أَنْ تَقُولُوا ° } ونصب { مَقْتاً } على تفسيره ، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه ، واختير لفظ المقت لأنه أشدّ البغض ، ولم يقتصر على أن جعل البغض كثيراً حتى جعل أشدّه وأفحشه ، وعند ا□ أبلغ